

شرح الحكم العطائية

الأغيار فإن الجزاء إنما يكون على كامل ولا كمال عندك إذ ذاك فإنك إنما عملت لحظ نفسك لا لوجه مولاك فصرت كأجير السوء أن لم يأخذ الأجرة لم يعمل ويكفي المريب أي المرتاب في كون مولاة يعطيه الأجر وإن لم يقصده بعمله وجدان السلامة من العقاب أي يكفيه أن لا يعاقبه على هذا القصد القبيح . وقد كرر المصنف هذا المعنى اهتماماً بشأنه فقال : (122) لا تطلب عوضاً على عمل لست له فاعلاً يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلاً .

أي لا تطلب - أيها المرید - جزاء على عمل لست له فاعلاً في الحقيقة فإن يقول في كتابه المكنون : { وَاللَّهِ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } (96) الصافات . وإذا كان مولاك هو الفاعل في الحقيقة وجعلك محلاً لظهور فعله تفضلاً منه فكيف تطلب جزاء على غير فعلك . يكفي من الجزاء لك على العمل الذي هو لك بطريق المجاز أن كان - بفتح الهمزة - أي كونه له قابلاً ولم يؤاخذك بعدم الصدق فيه من حيث إنه من كسبك .

(123) إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك . أي إذا أراد أن سبحانه أن يظهر فضله وإحسانه عليك - أيها المرید - خلق العمل الصالح فيك ونسبه إليك على السنة العبيد بأن يطلق ألسنتهم بأنك مطيع . فينبغي لك أن تشهد هذا الفضل العظيم وتستحي من مولاك الكريم لتتأدب بقول سهل بن عبد الله : إذا عمل العبد حسنة وقال : يا رب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت . شكر الله تعالى له ذلك وقال له : يا عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت وإذا نظر إلى نفسه . ص 99 .

وقال : أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت . أعرض الله تعالى عنه وقال : يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت . وإذا عمل سيئة وقال : يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت . غضب المولى عليه وقال له : يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت . وإذا قال : يا رب أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت . أقبل المولى عليه وقال : يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت .

(124) لا نهاية لمذاذك أن أرجعك إليك ولا تفرغ مدائحك أن أظهر جوده عليك . أي لا نهاية لما تدم به - أيها المرید - من القبائح أن أرجعك مولاك إلى نفسك وخلي بينك وبينها - فإن النفس أمارة بالسوء - وذلك من علامات الطرد والإبعاد . ولا تفرغ أي لا تنتهي مدائحك أي محاسنك التي تمدح بها أن أظهر جوده عليك ونصرك على نفسك فتكون ممن رحمه

واجتباها ووقفه لما يحبه ويرضاه .

(125) كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً .

أي كن - أيها المرید - متعلقاً بأوصاف ربوبيته تعالى من غنى وعز وقوة وعلم ونحو ذلك بأن تشاهد أن هذه الأوصاف إنما هي لمولك فقط وإذا وجدت في غيره فهي عارية منه تعالى ولا تشهد هذا المشهد إلا إذا تحققت بأوصاف عبوديتك من الفقر والذل والعجز والجهل ونحو ذلك . فإذا تحققت بما هو لك وتعلقت آمالك بما هو له أمذك بأوصافه فتكون غنياً باً عزيزاً باً قادراً باً عالماً باً إلى غير ذلك . كما سيقول المصنف : تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه . ثم ذكر ما هو كالدليل لهذه الحكمة بقوله :